الفن في عصر النهضة

إن مفهوم عصر النهضة الإيطالية من زاوية الفن، أنه عصر تطوير لقدرات الفنون وانطلاق الفنان ذو الشخصية الخلاقة نحو واقعية جديدة في تصوير الطبيعة وما تحويه من عناصر وأشكال تتصدرها الشخصية الإنسانية. وسواء رأى البعض ان "النهضة" تعني إحياء أمجاد العالم القديم في الفنون أو أنها –كما كانت مقصورة في الماضي– نعني الثورة الثقافية في إيطالية وأثر إيطاليا في الفن والعلوم على أوربا الشمالية، فإن النهضة قامت على أكتاف أولئك المجددين الذين أزاحوا عراقيل القرون الوسطى نادوا بحرية الفكر والبحث، فما أن بلغت روح النهضة إلى الفنانين حتى تبددت الأحوال القديمة وتحرك الفنانون إلى المستويات الفنية العالية لعصر النهضة، وكان منهجهم الديني هو الملهم الأول لفنهم، وعل ذلك فإن أعمال التصوير والنحت التي أتخذها الفنانون من حياة المسيح والعذراء والقديسين قد وجدت سبيلها إلى مجال الحياة اليومية، وأضفى الفنانون على هذه الأعمال مسحة مؤثرة قربتها إلى قلوب البشر.

وانجلت الحجب عن أبصار الفنانين في عصر النهضة ، واستطاعوا بأعينتهم المتحررة ونزعاتهم الإنسانية أن يدخلوا الطبيعية من أوسع أبوابها وأن يجولوا في مشاهدها الرائعة رغم انشغالهم بالموضوعات

الدينية اليومية، وأصبح الوجود كله ، وليس الجانب الديني منه فقط هو الميدان الرحيب الذي يجول فيه فنان عصر النهضة. وعمل النحاتون اوالمعماريون في عصر النهضة بنفس الروح التي عمل بها المصورون، فهذا دوناتللو بنظرته التي استمد مقوماتها من العالم المحيط به والذي يفيض إنسانية وينبض بالبهجة، كل ذلك في إطار من معتقداته الدينية.

ويمكن تقسيم عصر النهضة تقسيما ملائما إلى مرحلتين دامت كل منها قرنا من الزمان؛ إحداهما استوعبت الخامس عشر حينما تطور كل من جنوب إيطاليا وشمالها على حدة – والمرحلة الثانية التي انضم فيها شمال إيطاليا وإلى جنوبها في وحدة شاملة.

أعلام الفن في عصر النهضة

جيوتو (١٢٦٦ – ١٣٣٧)

الفنان الفلورنسي الذي اكتشف أسس التصوير الحديث لعصر النهضة وأكسب الأشخاص في تصويره حيوية ومظهرًا طبيعيا فوق ما أضفاه من خيال على مختلف المناظر التي رسمها. وما رسمه الفنان كذلك من لوحات الفرسك ذات الطابع الديني يؤكد نبوغه وقدرته على إظهار تفاصيل الأشياء والأبعاد والظلال والأضواء فوق ما يشع منها من أحاسيس عاطفية تحملها تعبيرات الوجوه والأيدي وحركات الأشخاص...

ومن أمثلة ذلك اللوحة التفصيلية "مقابلة عند البوابة الذهبية، في بادو" وكذلك لوحة "البكاء على القديس فرانسيس"، وحينما يعالج جيوتو رسم الجماعات نلاحظ تزاحمها، كما يبدو روح الحادث من خلال روح الجمع كله فهناك مشاركة عامة أو وحدة مشاركة تتبينها على الوجوه وفي الأيدي وفي الملابس والعمارة وفي الخلفية وما يكون فيها من أشجار ونبات كذلك فان من صفات أعمال جيوتو تشابه الوجوه تشابها لا يحدد فردية بذاتها وإنما هو أسلوب واحد متقارب وطريقة بذاتها يتبها الفنان في انجاز ملامح الوجه وتفاصيله بم يحدد معالم شخصيته ويحقق له التعبير الذي ينشده.

***

تتميز فنون النهضة في الشمال بأنه أكثر منطقة وأكثر دقة من واقعية الجنوب التي ضربنا لها أمثلة جيوتو وبو تتشيللي، فقد ارتبطت أعمال الفنانين الشماليين في عصر النهضة بتقاليد الفن القوطي التي بقيت آثارها في المخطوطات المصورة، وفي زخرفة الكتدرائيات، وهذا يوضح شدة ارتباط فنان الشمال بالبيئة واهتمامه بإبراز التفاصيل في أعماله الفنية – مثل ذلك.

ليوناردو دافنشي (١٤٥٢ - ١٥١٩)

كان ليوناردو دافنشي مصورًا كما كان نحاتًا ومخترعًا سبق عصره ، وكذلك قام بوضع أول كتاب عن الشريح، كما أنه كان كيميائيا

وعالما. وبالجملة فإن ليوناردو دافنشي هو نسيج وحده من القلائل الذين يجود الزمان بمثلهم. وعند ما حمل أبوه رسومه وهو صبي صغير إلى صديقه الفنان (فيروشيو) ليطلعه على عمل إبنه أدرك الأستاذ من فوره عبقرية الصبي الصغير وطلب إلى أبيه أن يتتلمذ ابنه عليه.

ومن أعجب ما يروى عن هذا التلميذ العبقري أن أستاذه في زحمة عمله طلب إليه أن يساعده في رسم (ملاك) في إحدى اللوحات، ولما أنجز ليوناردو رسم الملاك طغت روعته على أشخاص اللوحة ورأى أستاذه ذلك فتولاه الذهول لتفوق التلميذ عليه، فترك فرشاته وهجر التصوير واشتغل بالنحت بقية حياته..

ومن أعمال ليوناردو التي بلغت حد الإعجاز، لوحته (العشاء الأخير) وقد جلس إلى المائدة في وسطها السيد المسيح وعن يمينه وشماله حواريه الذين يموجون في حركات وإشارات هي الإبداع نفسه، وما ارتسم على وجههم من تعبيرات عميقة متنوعة. أما لوحة (موناليزا) أو (الجيوكندة) من عمل ليوناردو، فإنها تعتبر فقد رسمها الفنان على أنغام الموسيقى، وانعكست هذه الأنغام الرائعة –كما أرادها الفنان– على صاحبة اللوحة فظهرت على تلك الابتسامة الغامضة العميقة على وجهها والتي شبهوها بابتسامة أبي الهول. والمنظر الخلفي للجوكندة، وهي أنهار وكباري يردد في مجموعة الغموض والعمق اللذين حققهما الفنان على الوجه الخالد.

مايكل أنجلو (١٤٧٥ – ١٥٦٤)

اتجه "مايكل أنجلو" للنحت منذ طفولته ووصل فيه إلى قمة عالية قل أن يصل إليها فنان ، فقد كلف البابا مايكل أنجلو برسم سقف كنيسة (سستين) وهو النحات المرموق، واضطر أنجل للقيام بهذا العمل اضطراراً بعدما رفض البابا رجاءه أن يقوم رفائيل بهذا العمل.. وفي يوم ١٠ مارس سنة ١٥٠٨ كتب الفنان الخالد هذه العبارة " اليوم أنا ميخائيل أنجل النحات أبدا في تصوير المصلى" وفي العام التالي أضاف العبارة الآتية "ليست هذه مهنتي فأنا أضيع وقتي"، ولكن العالم يشهد بأن ما حققه أنجل في تصويره موضوعات كنيسة سستين هو الإعجاز بعينه، لقد مزج الفنان بين النحت والتصوير في هذه الأعمال فبدت وكأنها لفرط قوتها وروعتها بارزة مجسمة على الحائط.

ومن الأعمال الخالدة للفنان مايكل أنجلو تمثال موسى الذي تجلت القدرة الخارقة على تشكيل الرخام وطواعيته له ليحقق منه معنى القوة والعزم.

روفائيل (١٤٨٣ – ١٥٢٠)

الفنان الذي صور الجمال وأشاعت لمسته الإحساس به في أعماله خلال عمره القصير (٣٧عامًا) – أنظر إلى لوحاته التي صور فيها مختلف الشخصيات كلوحة "بالثازار كاستيليون" ولوحة البابا يوليوس الثاني وما تعتبر عنه الوجوه من معان بالغة العمق، ولا جدال في أن

أسلوب الفنان وطريقته في التصوير قد جعلا منه شخصيًا محبوبًا من الناس وله مريدون كانوا يحيطون به ويتبعونه وهو يسير في شوارع روما، ثم كان أن أصيب الفنان العظيم بالحمى خلال قيامه بأعمال التصوير في الفاتيكان، ومع غروب شمس السادس من أبريل عام ١٥٢٠ طويت بموته صفحة مشرقة من تاريخ التصوير في عصر النهضة.